﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عمران: 193]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لا نجاةَ من الخِزي وسوءِ العاقبةِ إلّا بالاستجابةِ للحقِّ، ونيلِ غُفران اللهِ

يسوقُ لنا بيانُ اللّهِ تعالى هنا تتمَّةَ أدعيّةِ أولي الألباب، إذْ لمَّا أعلَنُوا في الآيةِ السَّابقةِ، أنَّ الظَّالمَ الَّذي يَدْخلُ النَّارَ، يَحِلُّ به الخِزيُ، ولن يجدَ مَنْ يُواليه ويُنقذُه منها، يُقدِّمون لأنفسِهم عندَ خالقهم في هذه الآية، تقريرًا عنِ استجابتِهم لنداءِ مَنْ نَاداهم للإيمانِ، قبلَ دعائِهم أن يغفرَ اللّه لهم ذنوبَهم، ويَتوفَّاهم مع عبادِه الأبرار، لعلَّ اللّه أن يستجيبَ دُعاءَهم، وقولهم: " ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا﴾: حكايةٌ لدعاءٍ آخرَ لهم، وتصديرُ مقدّمةِ الدّعاءِ بالنّداءِ، لإظهار كمال الضّراعةِ والابتهال، والتأكيدُ للإيذان بصدور المقالِ عنهم، بوفور الرّغبةِ، وكمالِ النّشاط، والمرادُ بالمُنادي الرّسول ﷺ، والتّنوينُ للتّفخيم"[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُنَادِيٗا يُنَادِي﴾: النِّداءُ: - بضمِّ النُّون وكَسْرِها - : الصَّوتُ، ونَاديتُه، ونَاديتُ به، وهو نَدِيُّ الصَّوْتِ: بَعيدُه، ونَخْلٌ نَادِيةٌ: بعيدةٌ عن الماء، وتَنادَوا: نادى بعضُهم بعضًا، وتَجَالَسُوا في النَّادي، وأنْدَى: كَثُرَ عَطَاياهُ، أو حَسُنَ صوتُه، ونَدَا القومُ نَدْوًا: اجْتَمَعُوا، كانْتَدَوا وتنَادَوا[2]، "في المنادي قولان: أحدُهما: أنّه النّبيُّ ﷺ، قاله ابن عبّاس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل، والثّاني: أنّه القرآنُ، قاله محمّد بن كعب القرظيّ، واختاره ابنُ جرير الطّبريّ"[3].

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/131، ومحاسن التّأويل: 2/483.
(2) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (نَدَا).
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/361، والماورديّ، النّكت والعيون: 1/442.

2) ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: اللّفظان يؤدّيان المعنى المطلوب مع بعضهما، فاللّفظُ الأوّلُ ﴿فَٱغۡفِرۡ﴾، من الغَفْرِ: وهو إلباسُ المرء ما يَصونُه عنِ الدَّنَس، ومنه قيلَ: اغْفِرْ ثوبَكَ في الوِعاء، واصْبِغْ ثوبَكَ، فإنَّه أَغْفَرُ للوَسَخ، والغُفْرانُ والمَغفرةُ من اللّه: هو أنْ يصونَ العبدَ من أنْ يَمَسَّه العذابُ، قالَ تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾، وقد يُقالُ: غَفرَ له إذا تجافَى عنه في الظَّاهر، وإنْ لم يَتجافَ عنه في الباطِن، كما في قولِه تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: 14]، والاسْتغفارُ: طلبُ ذلكَ بالمقالِ والفعال[1]، واللّفظُ الثّاني قوله ﴿ذُنُوبَنَا﴾، جمعٌ مفرده ذنْبٌ، في الأصلِ: الأَخْذُ بِذَنَبِ الشَّيء، يُقالُ: ذَنَبْتُه: أصبْتُ ذَنَبَهُ، ويُستعمَلُ في كلِّ فعلٍ يُستَوخَمُ عُقْباه، اعْتبارًا بِذَنَبِ الشَّيء، ولهذا يُسمَّى الذَّنْبُ تَبِعةً، اعْتبارًا لما يحصُلُ من عاقبتِه، وجَمعُ الذَّنْبُ ذُنُوبٌ، قالَ اللّه تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ [آل عمران: 11][2].

3) ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: اللّفظان يتعاضدان لأداء المعنى المراد، في سياق هذه الآية، فاللّفظ الأوّل ﴿وَكَفِّرۡ﴾، من لفظ الكُفْر، وهو في اللُّغة: سَتْرُ الشَّيء، وَوُصِفَ اللَّيلُ بالكافرِ، لسَترِه الأَشْخاص، والزُّرَّاعُ لسَترِهمُ البِذْرَ في الأرض، كما في قولِه تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: 20]، وكُفْرُ النِّعمةِ وكُفرانُها: سَترُها بتركِ أداءِ شُكرِها، قالَ تعالى: ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ [الأنبياء: 94]، وأعظمُ الكُفْر: جُحودُ الوحدانيَّةِ أوِ الشَّريعةِ أوِ النُّبُوَّة، واللّفظ الثّانيّ، قولُه: ﴿سَيِّـَٔاتِنَا﴾، من السُّوءُ: وهو كلُّ ما يَغُمُّ الإنسانَ منَ الأمورِ الدُّنيويّةِ والأُخْرَويَّة، ومِنَ الأحوالِ النَّفسيّة، والبَدَنيّة، والخارجَة من فواتِ مالٍ، وجاهٍ، وفَقْدِ حَميم، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٧﴾ [النحل: 27]، وعبَّر عن كلِّ ما يَقبُحَ بالسُّوأَى؛ ولذلكَ قُوبِلَ بالحُسنَى، قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرّوم: 10]، وقال: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26]، والسَّيِّئَةُ: الفِعْلَةُ القَبيحةُ، وهي ضِدُّ الحَسَنَة، قالَ تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾ [البقرة: 81]، والحَسَنةُ والسَّيِّئَةُ ضَرْبان، أحدُهما: بِحَسَبِ اعْتبارِ العقلِ والشَّرْع، كما في قولِه تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: 160]، وثانيهما: بِحَسَبِ اعْتبارِ الطَّبْع،

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 331.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 609.

وذلك ما يَستخفُّه الطَّبعُ ويَستثقِلُه، كما في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: 131](1).

4) ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: أَوْفَى فلانًا حقَّه: أَعْطاه وافيًا، كوفَّاه ووَافاه، فاسْتوفَاه وتَوفّاه، والوَفَاةُ: الموتُ، وتَوفّاه اللّهُ: قَبَضَ رُوحَه(2)، ودُعاءُ المؤمنينَ ربَّهم أنْ يتوفَّاهم مع الأبْرار، يعني: يَسْتَوفي أجلَهم ويَقبِضُ أرواحَهم مع زُمرة الأبْرار، فيحشُرُهم ويُدخِلُهُمُ الجنَّةَ معهم، قوله ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: "أي: في عددِهم، وفي زمرتِهم، وقيل: المعنى وتوفّنا أبراراً مع الأبرارِ"(3).

5) ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: البَرُّ: خلافُ البَحْر، وتُصوِّرَ منه التَّوسُّعُ فاشْتُقَّ منه البِرُّ، أي: التَّوسُّعُ في الخَيْر، ويُنسَبُ ذلكَ إلى اللّهِ تارةً نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 28](4)، وإلى العبدِ تارةً، فيُقالُ: بَرَّ العبدُ ربَّه؛ أي: تَوسَّعَ في طاعتِه، فمنِ اللّهِ الثَّوابُ، ومن العبدِ الطَّاعة، وذلك ضربان: الأوَّل: في الاعْتقاد، والثَّاني: في الأعمال، وقد اشْتملَ عليهما قولُه - ﷺ - : ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 177]، وتَضمَّنتِ الآيةُ الكريمة بتمامِها جميعَ أنواع البرِّ، بدءًا بالاعتقاد ثمّ الأقوال والأعمال، ويُقالُ: بَرَّ أبَاه، فهو بارٌّ وبَرٌّ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم: 32]، وجمعُ البارِّ: أَبْرارٌ وبَرَرَةٌ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الإنفطار: 13]، وقالَ في صفةِ الملائكة: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: 16](5)، فَبَرَرَةٌ خُصَّ بها الملائكةُ في القرآنِ، من حيث إنَّه أبلغُ من أَبْرار، فإنَّه جمعُ بَرٍّ، وأَبْرارٌ جمعُ بارٍّ، وبَرٌّ أبلغُ من بارٍّ، كما أنَّ عَدْلًا أبلغُ من عَادِل(6).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ينقُلُ لنا سياق هذه الآية الكريمة، أدعيةَ المؤمنينَ أُولي الأَلْباب، والَّتي منها في هذه

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 441 - 442.
(2) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (وَفَى).
(3) مكيّ بن أبي طالب، الهداية: 2/1204.
(4) "البرُّ: اسم من أسماء الله الحُسنى، ومعناه: فاعل البّر والإحسان، الّذي يُصلح أحوال عباده، ويُحسن إليهم في دينهم ودُنياهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطّور: 28]"، ينظر: أحمد مختار عمر: معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: 1/187.
(5) الرّاغب، المفردات، ص: 114 - 115.
(6) الزّركشي، البرهان: 4/18، والسُّيوطي، الإتقان: 1/253.

الآية، والّتي مفادها قولهم: ربَّنا إنَّنا سَمِعْنا داعيًا يَدْعو إلى الإيمان، وهو رسولُكَ محمَّدٌ ﷺ، يقولُ: ﴿ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾، فاسْتجبْنا له واتَّبعْناه، فامْحُ يا ربَّنا ذنوبَنا بينَنا وبينَ عبادِك، واسْتُرها فيما بينَنا وبينَك، واقبِضْ أرواحَنا وأَلْحِقْنا مع الصَّالحين من عبادِك[1]، "وفي تقدمةِ الدّعاء بالنّداء، إشارةٌ إلى كمال توجّههم إلى مولاهم، وعدم غفلتهم عنه، مع إظهار كمال الضّراعةِ والابتهالِ، إلى من عوّدهم الإحسان والإفضال"[2].

إظهارُ كمالِ الضّراعةِ والابتهالِ، باعتبارِ اللهِ مصدرَ الإحسانِ والإفضالِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بيانُ افتتاح الدّعاء بالنِّداءُ:

قولُه تعالى ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾: نجد تصديرَ مُقدِّمةِ الدُّعاءِ بالنِّداء؛ لإظهار كمالِ الضَّراعةِ، والابْتهالِ، والقرب المتحقّق بحذف حرف النداء.

اتّساعُ الأساليبِ للمعاني الجليلةِ، الّتي تمخّضت عن ابتهالاتِ المؤمنين ودعواتهم الخالصة

سرُّ تعقيب النداء بالتّوكيد:

جاءَ التّأكيدُ في ﴿إِنَّنَا﴾؛ للإيذانِ بِصدُور المقالِ عنهم بِمَوْفُورِ الرَّغبةِ، وكمالِ النَّشاط، وبتمام اليقينِ بمضمونِها[3].

في التوكيد إظهارٌ لكمال الرَّغبةِ، والنَّشاط، واليقين

براعة التعبير بلفظ النداء:

المرادُ بالنِّداء في قولُه تعالى: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾: الدُّعاءُ، وتَعْديتُها باللَّام لاشْتمالِها على معنَى التَّخصيص[4]، ويمكنُ أن تكونَ (اللَّام) بمعنَى: أجل[5].

عُدِّيَ النداء باللام للتخصيص

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/387.
(2) المراغيّ: تفسير المراغيّ: 4/164.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/132.
(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/132.
(5) الهرويّ، الأُزهيّة في علم الحروف، ص: 287، وأبو حيّان، ارتشاف الضّرب: 4/1707.

في التنوين تعظيمٌ لشأن المنادي، والنداء، وتفخيمٌ لهما

نكتة تنوين لفظ المنادي:

والمرادُ بالمُنادِي الرَّسولُ ﷺ [1]، وتَنْوينُ لفظ ﴿مُنَادِيًا﴾ تعظيمًا لشأنه ﷺ وتَّفخيمًا لشأن النداء.

إيثار لفظ النداء بيانٌ لكمال اعتنائه بِشَأْنِ الدَّعوة وصورة تبليغها

سرُّ إيثار لفظ النداء على الدعوة:

إيثارُ لفظ (المنادي) على (الدَّاعي) في قوله: ﴿مُنَادِيًا يُنَادِى﴾؛ للدَّلالةِ على كمالِ اعْتنائه بِشَأْنِ الدَّعوة، وتَبليغِها إلى الدَّاني والقَاصِي، لما فيه منَ الإيذانِ برفعِ الصَّوْت[2].

في النداء وجهُ إبهامٍ، فيكون البيانُ فيه أكثرُ ثباتًا

دلالةُ النداء للإيمان:

يلاحظُ في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ "أنّه أطلقَ المُنادي، ثمّ ذكرَ بعد ذلك، أنّه ينادِي بالإيمان، وذلك لما فيه من إبهامٍ بعده بيان، فيكون البيانُ أكثرَ ثباتًا، ولأنّ الإطلاقَ أعطى المنادي تفخيمًا وتكبيرًا؛ ولأنّ النّداءَ إلى الحقّ، اعتبرَ كالعنوان له، وثالثها: أنّ الإيمانَ ذكر مطلقًا، على أنّه إيمان بالرّبِّ، وذلك للدّلالة على الإذعان المطلق للّهِ وللحقّ والهدى، اللهم هبنا إيمانًا بالحقِّ وإذعانًا له، وقد أجابوا نداءَ الإيمان، فقالوا ﴿فَـَٔامَنَّا﴾، وسماع النّداء لا يلزم أن يكونَ من شخصِ المُنادي، بل يعمّ السّماعَ من شخصه، وتتّبعَ رسالته من بعده"[3].

ذكرَ النّداءَ مطلقًا ثمّ مقيّداً بالإيمان، تفخيمٌ لشأن المنادي

وقال الزّمخشريّ: "فإن قلت: فأيّ فائدةٍ في الجمع بين المُنادي، وينادي؟ قلت: ذكرَ النّداءَ مطلقًا ثمّ مقيّداً بالإيمان، تفخيمًا لشأن المنادى؛ لأنّه لا منادَى أعظمَ من منادٍ يُنادي للإيمان، ونحوه قولك: مررتُ بهادٍ يهدي للإسلام؛ وذلك أنّ المنادى إذا أطلق، ذهب الوهمُ إلى منادٍ للحرب، أو لإطفاءِ النّائرة، أو لإغاثةِ المكروب، أو لكفايةِ بعض النّوازل، أو

(1) وقال القُرطبي: "يعني: القرآن، فليس كلُّ أحدٍ يلقَى النَّبيَّ ﷺ"، ينظر: ابن جرير، جامع البيان: 4/212، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 3/842، ولا تعارضَ بينهما فإنَّ ما يدعو إليه رسولُ الله ﷺ هو عينُ ما يدعو إليه القرآن.

(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/132.

(3) أبو زهرة: زهرة التّفاسير: 3/1550.

لبعضِ المنافع، وكذلك الهادي، قد يطلقُ على من يهدي للطّريق، ويهدي لسدادِ الرّأي، وغير ذلك، فإذا قلت: يُنادي للإيمان، ويهدي للإسلام، فقد رفعتَ من شأن المنادي والهادي وفخّمته، ويقال: دعاه لكذا وإلى كذا، وندبَه له وإليه، وناداه له وإليه، ونحوه: هداه للطّريق وإليه؛ وذلك أنّ معنَى انتهاءِ الغاية، ومعنى الاختصاصِ واقعان جميعًا"[1].

فائدة الجمع بين ﴿مُنَادِيًا﴾ و﴿يُنَادِى﴾:

وفي ذكرِ الفعلِ ﴿يُنَادِى﴾ مع دَلالةِ الاسم ﴿مُنَادِيًا﴾ عليه ثلاثةُ أَوْجُهٍ بلاغيَّة[2]: الأوَّل: هو التَّوكيد، كما يقولُ أحدُهم: قُمْ قائمًا، الثّاني: أنَّه وصلَ به ما حَسُنَ التَّكرير، وهو قولُه: ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾، الثَّالث: أنَّه لو اقْتصَرَ على الاسْم لجازَ أن يكونَ سمعَ مَعروفًا بالنِّداءِ يذكرُ ما ليسَ بنداء، فلمَّا قالَ: ﴿يُنَادِى﴾ ثبتَ أنَّهم سَمِعوا نداءَه في تلكَ الحال، ولذا كان مفعولُ ﴿يُنَادِى﴾ محذوفًا، تقديرُه: يُنادي النَّاسَ.

في الجمع توكيدٌ، وحسنُ تكرير، وإثباتٌ لسماع النداء

وفي الآية إطنابٌ بالتّكرار، وهو الجمعُ بين لفظ ﴿مُنَادِيًا﴾ ولفظ ﴿يُنَادِى﴾، وذلك أنّه ذكر النّداء في الأوّل مطلقًا، ثمّ ذكره في الثّاني مقيّدًا بالإيمان، توكيدًا وتعظيمًا؛ إذ لا منادِيَ أعظمُ من مُنادٍ يدعو إلى الإيمانِ، وهو محمّدٌ ﷺ ، أو القرآنُ الّذي أنزل عليه بحسب ما رجَّحَ ابن جرير الطّبري محتجًّا بأنّ كثيرين ممّن وصفهم اللّه بهذه الصّفة، في هذه الآياتِ ليسوا ممّن رأى النّبيّ ﷺ، فسمعواْ دعاءَه إلى اللّهِ – تبارك وتعالى – ونداءه، ولكنّه القرآنُ[3].

في تكرار لفظ النداء وجهُ إطنابٍ زيادة في التوكيد والتعظيم

وجه التعبير بـ ﴿أَنْ﴾:

﴿أَنْ﴾: فيها وجهان[4]: الأوَّل: أنّها تفسيريّة؛ وذلكَ لما في فعل ﴿يُنَادِى﴾، من معنَى القولِ دونَ حروفه، فيكون النِّداءُ قولَه: آمنوا،

معنى (أن) التفسيريّة، أو المصدريّة

(1) الزّمَخْشري، الكشّاف: 1/455.
(2) العكبريّ، التبيان: 1/163.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/138.
(4) العكبريّ، التبيان: 1/163، وهذا ما ذكره الزّمَخْشري في الكشّاف: 1/489، ومختَصرًا بقوله: "أي: آمنوا أو بأن آمنوا".

والثَّاني: أنَّها مصدريّة، وُصلتْ بالأمر؛ فيكونُ التَّقديرُ: على هذا يُنادي للإيمان بأنْ آمنوا.

فائدة الفاء في فعل الاستجابة ﴿فَـَٔامَنَّا﴾:

الفاءُ في ﴿فَـَٔامَنَّا﴾ للتَّعقيب، سيقتْ للدَّلالةِ على المبادَرةِ والسَّبْقِ إلى الإيمان؛ وذلكَ دليلُ سلامةِ فِطْرتِهم من الخطأِ والمُكابَرَة، وقدْ تَوسَّمُوا أن تكونَ مُبادَرتُهم لإجابةِ دعوةِ الإسلامِ، مشكورةً عندَ اللهِ تعالى؛ ولذلكَ فرَّعوا عليه قولَهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ لأنَّهم لما بَذَلوا ما في وُسْعِهم منِ اتِّباع الدِّين كانوا حَقيقينَ بترجِّي المَغفرة[1].

سيقتِ الفاءُ للدَّلالةِ على المبادَرةِ إلى الإيمان؛ وهو دليلُ سلامةِ الفِطْرة

بلاغة تقييد الإيمان بلفظ ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾:

وقولُه ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾: أي: بمالِكِكُم ومُرَبِّيكم ورازقِكُم ومُتولِّي أموركم ومُبلِّغِكُم إلى الكمال، وكلُّ ما تفيدُه كلمةُ (الرَّبِّ) من المعاني الفائقةِ الجليلة، وفي إطلاقِ الإيمانِ ثمَّ تقييدِه ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾ تَفخيمٌ لشَأْنه وإعظامٌ لقَدْره، وهو كذلك[2].

في إطلاقِ الإيمانِ ثمَّ تقييدِه (بربّكم) تَفخيمٌ لشَأْنه وإعظامٌ لقَدْره

براعة تكرار لفظ الربوبيّة:

ولفظُ ﴿رَبَّنَآ﴾ في قولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ تكريرٌ للتَّضرُّع، وإظهارٌ لكمالِ الخُضوع، وعَرضٌ للاعْتراف بربوبيَّتِه سبحانه مع الإيمانِ به.

تكرير لفظ الربوبيّة للتَّضرُّع، وإظهارِ كمالِ الخُضوع

فائدة الفاء في فعل الغفران:

والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ لِتَرتيبِ المغفرةِ، أوِ الدُّعاءِ بها، على الإيمانِ به تعالى، والإقرارِ بربوبيَّتِه، فإنَّ ذلكَ من دَوَاعي المغفرةِ والدُّعاءِ بها[3].

التعبير بالفاء؛ لِتَرتيبِ المغفرةِ، أوِ الدُّعاءِ بها، على الإيمانِ باللهِ تعالى

(1) ابنُ عاشور، التَّحرير والتَّنْوير: 4/199.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/132.
(3) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/132.

وجه الجمع بين لفظي: (الغفران، والتكفير):

شاعَ الغُفرانُ في العَفوِ عنِ الذَّنبِ، والتَّكفيرُ في تعويضِ الذّنبِ بِعِوَضٍ

والغَفْرُ والتَّكفيرُ متقاربانِ في المادَّةِ المُشْتقَّيْن منها، إلَّا أنَّه شاعَ الغَفْرُ والغُفرانُ في العَفوِ عنِ الذَّنبِ، والتَّكفيرُ في تعويضِ الذّنبِ بِعِوَضٍ، فكأنَّما العِوَضُ كفَّرَ الذَّنبَ، أي: سَتَرَه، ومنه سُمِّيتْ كفَّارةُ الإفطارِ في رمضان، وكفَّارةُ الحِنْثِ في اليمينِ، إلَّا أنَّهم أرادُوا بالذُّنوبِ ما كان قاصرًا على ذَواتِهم؛ ولذلكَ طَلبُوا مَغفرتَه، وأرادوا منَ السَّيِّئات ما كانَ فيه حقُّ النَّاس، ولذلكَ سألُوا تكفيرَها عنهم[1]، وثمّة وجهٌ يرى عَدَم اخْتصاصِ أحدِ اللَّفظيْنِ بأحدِ الأمرين، والآخَرُ بالآخَر؛ بل يكونُ المعنَى في الذُّنوب والسَّيِّئات واحدًا، والتَّكريرُ للمُبالغةِ والتَّأكيد[2].

وجه الجمع أنَّ غفرانَ الذّنوبِ بفضلِه ورحمتِه، وتكفير السّيئات بالطّاعات

"وجَمَعَ بين غفران الذّنوبِ، وتكفير السّيئات؛ لأنّ غفرانَ الذّنوبِ بفضلِه ورحمتِه، وتكفير السّيئات بالطّاعات، كتكفير الحنثِ بالصّوم، والظّهار بالإعتاق، فالمغفرةُ بفضله من غير سببٍ، والتّكفيرُ بسبب طاعةٍ"[3].

وجه التفريق بين لفظي: (الذنب، والسيئة):

السَّيئة عصيانٌ فيه إساءة، والذَّنب فيه تقصير وتباطؤ عن الخير

والفرق بين لفظي: الذنب، والسيئة في قوله تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: " أنَّ السَّيئة عصيانٌ فيه إساءة، والذَّنب فيه تقصير وتباطؤ عن الخير"[4]، ولذلك ناسب الذنوبَ الغفرانُ بوصفه عفوًا، وناسب السيئةَ التّكفيرُ بوصفه تعويضًا لها بِعِوَضٍ.

وجه المعيّةِ الاعتباريّة مع الأبرار في الفاصلة:

المَعِيَّةُ مع الأبرارِ أبْلَغُ في الاتِّصاف بالدَّلالة؛ لأنَّه برٌّ يُرجَى دوامُه

وقولُه ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: المَعِـيَّةُ هنا مَعِـيَّةٌ اعْتباريَّةٌ، وهي المُشارَكةُ في الحالةِ الكاملةِ، والمَعِيَّةُ مع الأبرارِ أبْلَغُ في الاتِّصاف

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/200.
(2) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 1/665.
(3) الواحديّ، الوسيط: 1/534.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1551.

بالدَّلالة؛ لأنَّه بِرٌّ يُرجَى دوامُه وتزايُدُه، لكونِ صاحبِه ضِمنَ جَمعٍ يَزيدونَه إقْبالًا على البِرِّ، بلسانِ المقالِ ولسانِ الحال[1]،

في المعيّة إشعارٌ بأنَّ من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه

والدُّعاءُ بالتَّوفِّي مع الأبرارِ فيه إشعارٌ بأنَّهم كانوا يُحبُّونَ لقاءَ اللهِ، ومَنْ أَحَبَّ لقاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لقاءَه[2]، وحَظِيَ بالقربِ منه في جنّاتِ النّعيم.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النِّداء والدُّعاء:

النِّداءُ: هو رفعُ الصَّوتِ بما لَه معنًى، وأصْلُ الدُّعاءِ: طلبُ الفعلِ، دَعَا، يَدْعُو، وادَّعَى ادِّعاءً؛ لأنَّه يَدْعو إلى مَذْهبٍ من غيرِ دَليل[3]، والَّذي يتَّضِحُ من بيانِ الفَرقِ بين الكلمتَين: أنَّ استخدامَ البيانِ الإلهيِّ لكلمةِ (النِّداء) أَغزر معنى، وأَصْوَبُ قيلًا، فإنَّ أصحابَ العقولِ الرَّشيدةِ، قدْ سَمِعُواْ مُناديًا يُنادي عبادَ اللهِ للإيمانِ باللهِ، وهذا السَّماعُ يقتضي صوتَ مُنادٍ به، وهو الرَّسولُ ﷺ، وهناكَ مَنْ سمعَ منه مباشرةً، وهم صحابتُه (رضوانُ اللهِ عليهم)، وهناكَ من سَمِع من الصَّحابةِ ﷺ، ما نادهم به رسولُ اللهِ ﷺ، وأمرَهم به من الإيمانِ، وما أَوْجبَه من شريعةِ الإسلام، إلى أن وصلَ إلى مَسامعِ كلِّ مَنْ تَبعَهم بإحسان، وبأدلَّةٍ من كتابِ اللهِ المحكم، وسُنَّةِ خيرِ البشريّةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

الوفاة والإماتة

مرَّ سابقًا في فِقرة: شرح المفردات، أنَّ توفيةَ الحقِّ إعْطاؤه وافيًا، واستِيفاؤُهُ يعني: تناوله وافيًا، كما في قولِه تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: 25]، وقد عُبِّر عنِ الموتِ والنَّوْمِ بالتَّوفِّي،

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/200.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/132.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 534، والكفوي، الكليّات: 2/333.

قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزّمر: 42]، وإذا تبيَّنتْ لنا هذه المعاني للتَّوفِّي والتَّوفية والاسْتيفاء، فإنَّ أصحابَ العقولِ المؤمنة، يُعلنونَ بدُعائهم، أنَّ الَّذي يَسْتوفي الأجل كاملًا تامًّا، هو اللّٰه ﷻ، لا أحدَ غيرُه، ولم يَستخدِموا الفعل (أَمتْنا) الَّذي يعني مُجرَّدَ قبضِ الرُّوح، ومُفارقتَها للجسد[1]، وإنَّما يَسْتحضِرون مع دعائهم، أنَّ هذه الرُّوحَ، هي حقٌّ للّٰه، وعندما يُريدُ اللّٰه أنْ يَستوفيَ حقَّه وخَلْقَه، ويسترجع أمانته، فسيكونُ ما يُريد ﷻ، وهذا الاسْتحضارُ لهذه الحقيقةِ الَّتي اصطبغتْ بها مشاعرُهم وقلوبُهم وعقولُهم، هي تعبيرٌ تامٌّ عن كمالِ الإيمانِ، في جَنَانهم وأركانِهم.

الأبرار والصَّالحين

لم يرد في سياق الآية قولهم: (وتوفَّنا مع الصَّالحين)، بلِ اسْتخدمُوا كلمةَ (الأبرار)؛ لأنَّ البِرَّ كما مرَّ في شرحِ المفردات، هو التَّوسُّعُ في الخير، والتَّوسُّعُ في الطَّاعة، مع ما تضمَّنتْه من جميعِ أنواعِ البِرِّ، اعتقادًا وقولًا وعملًا، وهذا لا تُحقِّقُه في سِياق النَّصِّ القرآنيِّ، كلمةُ الصَّالحين الَّتي هي من الصَّلاح: وهي ما كانَ ضدَّ الفساد، وهو مختصٌّ في أكثرِ الاسْتعمالِ بالأفعَال، وقُوبِلَ في القرآنِ تارةً بالفَساد، وتارةً بالسَّيِّئة، كما قالَ تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التّوبة: 102]، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56][2]، قال الماتريديّ: "يحتملُ قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾؛ أي: توفّنا واجعَلنا مع الأبرار، ويحتملُ: وتوفّنا من الأبرار وفي الأبرار"[3].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 525.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 489.
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السنة: 2/563.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»